



أبنية الجموع في القصيدة الكوثريّة دراسة صرفيّة دلاليّة

نور عبد المنعم أحمد حسين^(*)

(١) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب، بغداد، العراق

(*) الكاتب المسؤول: noorabdlmoneam@uomustansiriyah.edu.iq

المخلص

تُعدّ أبنية الجموع في العربية من أبرز مظاهر الثراء الصرفي والدلالي في هذه اللغة، إذ تتنوع بين جمع السالم (المذكّر والمؤنث) وجمع التكسير بأوزانه المختلفة، إضافة إلى التفرقة بين جمع القلّة وجمع الكثرة. ويكشف هذا التنوع عن قدرة العربية على التعبير الدقيق عن المعاني، حيث تؤدي الصيغ المختلفة دوراً مهماً في تحديد الدلالة من حيث العدد، والشمول، والمبالغة، أو التهويل. كما أنّ دراسة هذه الأبنية تكشف عن نظام صرفي محكم يربط بين الشكل والمعنى، ويؤكد على مرونة العربية واستيعابها للتغيرات الدلالية عبر العصور. ومن هنا تأتي أهمية البحث في أبنية الجموع لكونه مدخلاً لفهم البنية الصرفية والدلالية في النصوص العربية قديمها وحديثها. الكلمات المفتاحية: الجمع، جمع التكسير، جمع الكثرة، جمع القلّة، دلالة الصيغ.

تأريخ النشر: ٢٠٢٥-١٢-١

تأريخ القبول: ٢٠٢٥-٩-٢١

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٥-٨-١٢

Plural Patterns in Al-Kawthariyyah Poem: A Morphological and Semantic Study

Noor Abdul-Munaem Ahmed Hussein^{(1)*}

(1) Al-Mustansiriyah University / College of Arts, Baghdad, Iraq

(*) Corresponding author: noorabdlmoneam@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

The plural forms in Arabic represent one of the most prominent aspects of its morphological and semantic richness. They include sound plurals (masculine and feminine) as well as the various patterns of broken plurals, in addition to the distinction between plurals of paucity and plurals of abundance. This diversity reflects the language's ability to convey meanings with precision, as the different patterns play a significant role in expressing number, inclusiveness, exaggeration, or emphasis. The study of these forms reveals a systematic morphological structure that connects form to meaning, highlighting the flexibility of Arabic and its capacity to accommodate semantic shifts across time. Therefore, research on Arabic plural forms is essential, as it provides a key to understanding the morphological and semantic structure of Arabic texts, both classical and modern.

Keywords: : Plural, Broken Plural, Plural of Abundance, Plural of Few, Morphological Significance of Patterns.

Received: 12-8-2025

Accepted: 21-9-2025

Published: 1-12-2025

المقدمة:

من الأبواب المهمة في الصّرف العربيّ باب الجمع؛ والجمع إمّا جمع صحيح، وإمّا جمع تكسير، وجمع التكسير إمّا كثرة وإمّا قلة جمع التكسير، فقد نعت بأنه من غريب اللغة؛ حيث له أوزان كثيرة قياسية، وسماعية يعكس بدوره اتساع اللغة وروعتها. ولا غرو أنّ جمع التكسير بقسميه كان أكثر أنواع الجمع إثارة للجدل والنقاش بين العلماء، فقد أثرت أنّ أخصّص هذا البحث لمجموعة من أبنيتها التي كان لها أوضح الأثر في دلالة الصيغ في القصيدة الكوثريّة. قال أحد الباحثين:

((جاءت اللغة بألفاظ تمكن المتكلم من مخاطبته دون غيره، وعندما يتحول الخطاب إلى المثني زيد على تلك الألفاظ زيادة أوحى للمتلقّي أنها قصدت الاثنتين دون الواحد، وهكذا في الجمع تتسابق المفردات في إيصال المعنى أيضاً، وتطراً على اللفظة زيادة دون تغيير في حالة مفردة، وهناك يطرا عليه تغيير في حروف مفردة عند الجمع؛ ولذلك تنبّه العرب إلى بنية الخطاب، فالمفرد يختلف خطابه عن المثني والجمع، لهذا قام

DOI: <https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670>

135



This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license. هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY).



علماء اللغة العربية وعلى رأسهم سيوييه بوضع الفروق التي تفرق بين المخاطبين، ووصفها وصفا دقيقا، وجعل لها أبنية صرفية تتخذها، أو بناء جمعيا نحويا، أمثال جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم)) (المباحث الصرفية في مدارك الأحكام، ٢٠٢٥، صفحة ٧)، وهذه الألفاظ سواء مفرد كانت أم جمع لها دلالتها الخاصة التي تؤذيها قال أحد الباحثين : ((يُعد المستوى الصرفي واحداً من المستويات الأربعة المكونة للنظام اللغوي؛ إذ تتبين أهمية هذا المستوى من حيث أن التركيب الصرفي والصيغة الصرفية للكلمة يؤديان دورا مهما في بيان المعنى، ولاسيما أن الصيغ الصرفية تحتمل دلالات غير الدلالات المعجمية للكلمات؛ فالدلالة الصرفية هي الدلالة التي تستمد من أبنية الكلمات واشتقاقاتها وتقلباتها وصيغها الصرفية)) (الصيغ الصرفية في الفواصل الحديثة صحيح البخاري انموذجاً، ٢٠٢٢، صفحة ٢)، وتعددت صيغ الجموع بين الكثرة والقلّة، وتطرّق العلماء قديماً وحديثاً إلى بيان الاختلاف في الصيغ ودلالاتها، ومنهم من أشار إلى اختلاف اللهجات، إذ قال أحد الباحثين: ((إنّ تعدّد صيغ جموع التكسير تعود أمّا إلى الاختلاف في لهجات العرب إذ إن كثرة صيغ جموع التكسير في العربية تستدعي التأمل والنظر إذ لا نستطيع أن نفسر ذلك بغير القول بتعدد اللهجات أو إلى الاختلاف في المعاني إذ تكون اللفظة مشتركة بين معنيين. والذي أراه أنّ الاختلاف في المعاني عندما تكون اللفظة مشتركة بين معنيين كانت سببا في اختلاف الصيغ)) (دراسة صرفية لجموع التكسير في القرآن الكريم، ٢٠١٣، صفحة ٢٣٥)

القصيدة الكوثريّة: قصيدة في مدح الإمام علي (عليه السلام) تقع في ٥٤ بيتاً من البحر المتدارك، أنشأها شاعر أهل البيت السيد رضا الهندي، وهي من أشهر المدائح التي أنشدت في حقّه (عليه السلام)، كما أصاب الشاعر في قصيدته حيث بلغت الرتبة الرفيعة والشهرة الواسعة في وسط المجتمع الشيعي ومحبيه (عليه السلام). ووجه تسمية الشاعر في هذه القصيدة اقتبس آية (إنا أعطيناك الكوثر) من سورة الكوثر تبركاً؛ فسميت بالكوثرية. كتب القصيدة السيد رضا الموسوي الهندي (١٢٩٠ - ١٣٦٢ هـ)، وهو عالم فقيه من العلماء الإمامية، وله تصانيف عدّة، كما أنه أديب حيث غلب طابعه الأدبي على علمه وفقهه. له القصيدة الكوثريّة المعروفة في مدح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). وهذه القصيدة تحتوي على عدّة مضامين، ومنها:

الغزل والنسيب يبدأ الشاعر قصيدته الكوثريّة بالنسيب والغزل في أبياته الأولى، ولكن هذا الغزل لم يخرج من دائرة العفة والأخلاق، فهو في حبه متمم قد أشغف بجمال الممدوح، وهو ينحو في ذلك منحى شعراء أهل البيت المتقدمين عليه: كالشريف الرضي، والسيد حيدر الحلّي مقتبساً بعض آيات الذكر الحكيم:

قد قال لئن عرك صايغُهُ إنّا أعطيناك الكوثر

التوسل والشفاعة: فالشاعر بعد تلك الأبيات الغزليّة يتوسل بالإمام (عليه السلام) وهو مؤمن بأنّه (عليه السلام) هو الضامن والشفيع له في الدنيا والآخرة:

هذا عملي فاسألُك سئلي إن كنت تفرُّ على المنكر

الاحتجاج بالمواقف لم تخلو هذه القصيدة من الأدلة والبراهين لمن أنكر ولاية الإمام علي (عليه السلام)، فالشاعر يحتج على مخالفه بمواقفه (عليه السلام):

فأسألُ بدرأ، وأسألُ أحداً وسلّ الأحزاب، وسلّ خير

من دبر فيها الأمر؟ ومن أردى الأبطال؟ ومن دمّر....

الاعتذار والتخلص وفي نهاية المطاف يتقن السيد رضا بطريقته الخاصة، فينهى قصيدته باعتذار طالباً بذلك القبول:

من طول فيك مدانحه عن أدنى واجبها قصّر

فأقبل يا كعبة آمالي من هدى مديحي ما استنير

المطلب الأول: دلالة صيغ جموع القلة

هو جمع التكسير الذي لا يقلّ عن الاثنين، ولا يزيد على العشرة (الأصول، ١٤٠٥، صفحة ٤٣٢/٢)، قال ابن يعيش (٥٦٤٣هـ): ((واعلم أن أبنية القلة أقرب إلى الواحد من أبنية الكثرة، ولذلك يجري عليه كثير من أحكام المفرد. ومن ذلك جواز تصغيره على لفظه خلافاً للجمع الكثير، ومنها جواز وصف المفرد بها، نحو: "تؤب أسمال"، و"بُرمة أعشار". ومنها جواز عود الضمير إليها بلفظ الأفراد، نحو قوله تعالى: {وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونهم} النحل: ٦٦)) (شرح المفصل، ٢٠٠١، صفحة ٢٢٦/٣) وهي أربعة أوزان (أفعل، وأفعال، وأفعلة، وفعلة)، وقد وردت صيغة جمع القلة في القصيدة الكوثريّة (٧) مرات وجميعها على صيغة (أفعال) من جموع القلة وملت مما سواها من الصيغ.

صيغة أفعال

كل ما لا يطرد جمعه على (أفعل) يُجمع على (أفعال) (أوضح المسالك، صفحة ٣٠٩/٤)، ويطرد فيما كان على وزن (فعل) مُعتل العين مثل: ثوب أثواب، وحوض أحواض، ومنه قول حسان بن ثابت: (ديوان حسان بن ثابت، ٢٠٠٦، صفحة ١٣١)



لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى وأسيفنا يقطن من نجدة دما

وجاء على غير وزن (فعل) مثل: (فعل) جزب أحزاب، ضلع أضلاع، و(فعل) صلب أصلاب، فقل أقال، و(فعل) جمل أجمال، صدى أصداء، و(فعل) رطب أرطاب، ربع أرباع، ويأتي وزن (أفعال) في الوصف مثل: جلف أجلاف، خلق أخلاق ومن هذا قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ} [الكهف: ١٨].
ومما جاء في غير الثلاثي (شرح الشافية، ١٩٧٥، صفحة ١١٨/٢) مثل: شريف أشراف، جنة أجنات، مئت أموات قال السيوطي (٥٩١١):
(ويطرد أيضا فيما فؤه همزة أو واو وهو على فعل صحيح العين نحو: أنف وأناف وألف وآلاف ووهم وأوهام ووقت وأوقات ووقف وأوقات استتقلا لأفعل فيه يوفوع الضمة بعد واو وهذا رأي الفراء والأكثر على أنه محظوظ) (همع الهوامع، صفحة ٤٣٩/٣)، وذكر ابن يعيش: ((إن أعم الجمع في الصفات هو وزن أفعال)) (شرح المفصل، ٢٠٠١، صفحة ٢٧/٥)، وقد وردت صيغة (أفعال) في القصيدة الكثرية بالألفاظ التالية:

فأجل الأقداح بصرف الرا ح عسى الأفراح بها نشتر

صيغة (أفعال) من صيغ جمع التذكير، وهي تدل غالبًا على الكثرة، كما في: أقلام، أفراس، أقداح (ارتشاف الضرب، ١٩٨٩، صفحة ٤٠٥)، إذ ذكر من هذا البيت جمع: فذح، وفرح، ونلاحظ أن اللفظتين جاءتا على صيغة (أفعال) واحدة للمفرد وهو اسم الذات (قدح) والأخرى وردت جمعًا للمصدر (فرح)، واختيار هذا الجمع يوحي بكثرة القداح وتعدها، وهو ما يتناسب مع جو الشراب والطرب الذي يصوره الشاعر، وكما في الأقداح، تدل الأفراح هنا على تعدد وجوه الفرح وتنوع مظاهره، وليس مجرد فرحة واحدة. استخدام الجمع يدل على رغبة الشاعر في تكثير مظاهر البهجة المنتظرة وكلا اللفظتين بصيغة (أفعال) تدلان على كثرة وتنوع، وهما مرتبطتان سببياً في السياق: الأقداح (الوسيلة)، والأفراح (النتيجة). ويستشف من البيت أن الشاعر يرى أن الإكثار من شرب الراح يفضي إلى انبعاث الأفراح، وكان بينهما علاقة سببية مضمرة. إن دلالة جمع التذكير في كلمتي (الأقداح) و(الأفراح) تحمل بُعداً صرفياً يوظف لتعميق المعنى في البيت الشعري؛ إذ تدل على كثرة العدد وتنوع الحال، وتُسهم في تصوير مشهد احتفالي تطمح الذات الشاعرة من خلاله إلى تجاوز الكتابة واستجلاب السرور، عبر رمزي الشراب والفرح. ومنها أيضاً:

سودت صحيفة أعمالي ووكلت الأمر إلى حيدر

(أعمال) جمع للمصدر (عمل)، والتعبير ب(أعمالي) يدل على محصلة ما فعله الإنسان في حياته. واستخدام جمع القلة (أفعال) هنا يتسم ببلاغة التحقير والتقليل، (الكشاف عن حقائق التنزيل، ١٩٩٨، صفحة ٤٢٨/٤)، وكان الشاعر يقول: ما لي من أعمال تذكر، وكلها لا تليق، وقد سودت بها صحيفتي. وبهذا يكون اختيار صيغة (أفعال) مقصوداً لغابيتين دلالتين: الإشارة إلى قلة الحسنات أو قبورها، والإيحاء بانكسار المتكلم وتقصيره، مما يُهدد للثقة والاعتماد في الشطر الثاني على (حيدر)، أي: الإمام علي (عليه السلام)، ومن الجدير بالملاحظة وردت كلمة (أعمالي) مضافةً إلى ياء المتكلم (شرح الشافية، ١٩٧٥، صفحة ٣٦٤/٢) وهو ما يزيد من شخصنة الاعتراف بالذنب والتقصير، ويعزز دلالة القلة الواردة في الصيغة، ويمنح البيت عمقاً وجداناً تعبيرياً، يجمع بين: ضعف النفس، والاستعانة بولي من أولياء الله. ومنها أيضاً:

من دبر فيها الأمر ومن أرى الأبطال ومن دمر

(أبطال) جمع للصفة المشبهة (بطل) على زنة (فعل)، واستعمال (أبطال) بصيغة (أفعال) يوحي في أصل الدلالة الصرفية بعدد قليل من الأبطال. لكن في هذا السياق، هذه القلة ليست مجرد وصف عددي، بل تخدم وظيفة بلاغية تتعلق ب: تعظيم القدرة على الفتك: أي أن الشخص المقصود (الإمام عليه السلام) أسقط قلة هم صفوة القوم وأشجعهم، فاستدل على عظيم فعله بأنه أرى حتى الأبطال، وهم قلة دائماً في المجتمعات، لا كثرة أي أن صيغة جمع قلة من حيث الأصل الصرفي، ولكن دلالتها في السياق ليست عددية، بل نوعية وانتقائية، تشير إلى نخبة المقاتلين أو أشدهم بأساً. ويوظف الشاعر هذه الصيغة لتصوير عظمة الفاعل (الذي أراه)، إذ لم يسقط أي رجال، بل أسقط الأبطال أنفسهم، وهم قلة من حيث الوجود، عظماء من حيث القدر، فتكون دلالة القلة في خدمة التمجيد لا التهوين ومنها:

أفعال الخير إذا انتشرت في الناس فأنت لها مصدر

أفعالك ما كانت فيها إلا ذكرى لمن أدكر

كلمة أفعال مضافة إلى الخير وهي جمع للمصدر (فعل)، وهي جمع تكسير على وزن أفعال (جمع قلة)، لكن الشاعر لا يشير إلى عدد قليل من الأفعال فحسب، بل يُحيل إلى كل أفعال الخير التي انتشرت، مما يعني أن الصيغة هنا خرجت عن معناها الصرفي الأصلي (القلة). وأدت دوراً بلاغياً تكثيفياً، إذ إنها تدل على تعدد الأفعال الخيرة التي تُسبب للممدوح، لكنها مع ذلك محصورة في باب الخير



ويستعمل (أفعالك) بصيغة جمع قلّة لا ليدلّ على عدد محدود، وإنما ليؤكد أنّ كلّ فعل من أفعاله القليلة يحمل أثرًا كبيرًا، وهنا تتجلى المفارقة البلاغية: بقلة عدد الأفعال (بحسب الصيغة)، مقابل عظم أثرها في الذاكرة والأخلاق والقوة، فهي لا تُحصر في العدد، بل تُستعمل للدلالة على الأفعال النوعية، ذات الأثر الباقي، والتأثير العميق. كما أنّها تُسهم في توضيح الدلالة لتكثيف المعنى: أي أنّ قليلاً من الأفعال قد يفوق في أثره كثيرًا من الأعمال، حينما تصدر من شخص عظيم. ومنها:

فَاقْبَلْ يَا كَعْبَةَ آمَالِي مِنْ هَدْيِ مَدِيحِي مَا اسْتَيْسَرَ

(يا كعبة آمالي) في هذا التركيب الإضافي، خاطب الشاعر كعبة آماله - أي مقصد رجائه وغايته في الدنيا أو في الممدوح (الإمام عليه السلام)، وعليه فإنّ: صيغة جمع القلّة (آمال) لا تعني بالضرورة العدد القليل من الأمنيات، بل تؤدّي وظيفة دلالية وبلاغية دقيقة، فجمع القلّة في (آمال) يُشعر بأن هذه الأمنيات محصورة في أمر واحد أو بعض الأمور القليلة، ما يعطي التركيب عمقًا وجدانيًا؛ لأنّ القلّة هنا تُعبّر عن تركيز الأمل وتكثيف العاطفة لا عن ندرة الرغبة (أسرار البلاغة، ٢٠٠١، صفحة ٧٦)، والانكسار والتواضع فاستعمال جمع القلّة يوحي بأنّ الشاعر لا يدعي كثرة الأماني أو تطاول الرغبات، بل يُظهر الخضوع والتواضع، وهذا يتّسق مع مقاصد المدح والدعاء.

المطلب الثاني: دلالة صيغ جموع الكثرة

اختلفت الآراء في تعريف جمع الكثرة اصطلاحًا، فمنهم من يرى أنّه دلّ على ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية (ارتشاف الضرب، ١٩٨٩، صفحة ٤٢٠)، ومنهم من يرى أنّه ما فوق الثلاثة إلى غير النهاية (معجم الجموع في اللغة العربية، ٢٠٠٣، صفحة ٨٤)، ولجمع الكثرة أوزان كثيرة أوصل سيبويه (٥١٨٠) القياسية منها إلى اثنين وأربعين بناءً فضلًا عن السماعية (أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ١٩٦٥، الصفحات ٢٩٩-٢٩٨)، وقد وردت في أوزان مختلفة في القصيدة الكثرية وهي كالاتي:

فُعُول

ويطرّد هذا الجمع فيما كان اسمًا على زنة (فُعَل) مثل: كَعْبُ كُعُوبٍ، وَفُلْسُ فُلُوسٍ، وما كان على زنة (فُعَل) (الكتاب، ١٩٨٨، صفحة ١٧٨/٢)، مثل: جِسْمٌ جُسُومٌ، وَجَمَلٌ حُمُولٌ، وما كان على (فُعَل) غير مضاعف ولا واويّ اللام مثل: جُنْدٌ جُنُودٌ، وَبُرْدٌ بُرُودٌ، وما كان اسمًا على (فُعَل) غير أجوف ولا مضعّف (شرح الكافية الشافية، صفحة ٢٥٨١)، مثل: أَسَدٌ أَسُودٌ، وَشَجَنٌ شَجُونٌ، وما كان على (فُعَل) مثل: كَبِدٌ كُبُودٌ، وَبُرٌّ بُمُورٌ. ومما جاء على هذه الصيغة في القصيدة الكثرية:

إِرْحَمْ أَرْقًا لَوْ لَمْ يَمْرُضْ بِبُعَاسٍ جُفُونُكَ لَمْ يَسَهْرُ

(جُفُون) أصلها المفرد: جفن، وهو ما يحيط بالعين من جلد يحفظها ويستترها (مقاييس اللغة، ١٠٧٩، صفحة ٦٤٥/١)، وردت في هذا السياق لتدلّ على الكثرة لا العدد فحسب، بل الكثرة في التأثير والانفعال، إذ إنّ الشاعر يُصوّر معاناة الأرق والسهر الذي سببته جفون المحبوبة، رغم كون الإنسان له جفنان فقط في كل عين، لكن اختيار الشاعر لجمع الكثرة (جفون)، يوحي بتكثير الصورة الشعرية (اللغة العربية معناها ومبناها، صفحة ١٦٥)، ليجعل من جفون المحبوبة أشبه بجيش من الجفون الناعسة التي أغارت على قلبه فمرض وسهر، والدلالة على شمول الأثر: أي أنّ كلّ جفن منها له أثر، فليس واحدًا فقط هو من أغواه وسهر من أجله. والتّحليق في المجاز؛ لأنّ الشاعر لا يعني العدد الحقيقي بل أثر تلك الجفون، فكأنّها كثيرة من فرط تأثيرها، وهذا الاستخدام يندرج ضمن ما يسمّيه البلاغيون بـ (المبالغة التصويرية) وتعتمد العربية كثيرًا في التعبير الوجداني (الخصائص، ١٩٩٠، صفحة ١٢٠/١)، ولو قال: (أجفونك): جمع قلّة، لدلّ ذلك على عدد محدود، وربما نقص التأثير، بينما جفونك بـ (فُعُول) تعكس وفرة التأثير وقوة الحضور في ذهن الشاعر. ومنها أيضًا:

مَنْ هَدَى حُصُونَ الشَّرِكِ وَمَنْ شَادَ الإِسْلَامَ وَمَنْ عَمَّرَ

أصل المادة (حَصَنَ) تدلّ على المنعة والحماية، ومنها الحصن: البناء المتين الذي يتحصّن به (الخصائص، ١٩٩٠، صفحة ٦٩/٢)، وردت (حُصُونَ) في سياق مدح لشخص هدم الشرك وبنى الإسلام وعمّره. واختيار الشاعر لـ (حُصُونَ الشَّرِكِ) بدلًا من مفرد أو جمع قلّة له دلالة صريحة دقيقة: تكثير للرسمية المعنوية: أراد الشاعر الإيحاء بأنّ الشرك لم يكن له موضع واحد، بل شبكة من الحصون المتعددة، والمتفاوتة، والمتجدّرة في الفكر والمجتمع. وتهويل في تصوير قوة الشَّرِكِ: فالحصن مفردا يدلّ على المنعة، فكيف إذا تعدّدت؟ استخدام (حُصُونَ) على وزن جمع الكثرة يُضفي على الشَّرِكِ صورة التّحصّن المنيع الشامل، فصيغة (فُعُول) تعيد معنى القوة والكثرة والمنعة، مما يُظهر عظم ما هُدم، وبالتالي يرتفع مقام الفاعل وهو الإمام عليّ (عليه السلام).

فُعَلَاء

ويطرّد هذا الجمع فيما كان وصفًا لمذكّر عاقل على زنة (فُعِيل) بمعنى (فاعل) غير مضعّف ولا معتلّ اللام مثل: كَرِيمٌ كَرَمَاءٌ، بِخَيْلٍ بَخَلَاءٌ، وما كان (فُعِيل) بمعنى (مُفْعِل) مثل: سَمِيعٌ سُمُعَاءٌ، (وهو بمعنى مُسْمَعٍ)، ما كان (فُعِيل) بمعنى (فاعل) مثل: جَلِيسٌ جُلُسَاءٌ، حَلِيفٌ حُلُفَاءٌ. قال الرّضويّ (٥٤٠٦): ((قوله: شَدَّ قَتْلَاءَ وَأَسْرَاءَ، وَجَهَ ذَلِكَ مَعِ شَدُوذِهِمَا أَنْ فَعِيلًا بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ حَمَلَ عَلَى فَعِيلٍ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، نَحْوِ كَرِيمٍ وَكِرْمَاءٍ)) (شرح الشافية، ١٩٧٥، صفحة ١٤٨/٢) وما جاء في القصيدة الكثرية على هذه الصيغة:

حُجْبًا أَلْزَمَتْ بِهَا الخُصَمَاءَ وَتَبَصَّرَةً لَمَنْ اسْتَبَصَّرَ



ورد لفظ (الخُصماء) ومفردها (خصيم) في سياق مدح للقول الحَجَجِيّ القاطع الذي ألزم به الشاعر أو المخاطب الخصوم في مقام الحجاج، واختيار صيغة جمع الكثرة (فُعلاء) يوحي بجملة من الدلالات: تكثير الخصوم إذ لم يكتف الشاعر بالتعبير عن مواجهة خصم واحد أو قلة من الخصوم، بل أراد تكثير الصورة، للدلالة على كثرة المعاندين الذين ألزموا بالحجة، وهذا يناسب السياق الذي يتحدث عن قوة الحجّة وعموم نفعها، والتضخيم البلاغي فاستعمال (الخُصماء) بدلاً من صيغة أخرى، يضيف طابعاً أكثر هيبة ورسميةً وصرامة في الخصومة، إذ إن وزن (فُعلاء) كثيراً ما يرتبط بالمقام العالي، والصيغة تدل على أن إلزام الحجّة لم يكن جزئياً أو خاصاً بفئة، بل شاملاً لكل من يحمل صفات الخصومة، بصيغة جمع كثرة تفيد الاتساع، قال ابن يعيش: ((وأما جمع فُعلاء فإنه يلحق ما غلب استعماله في مقام الكثرة والشياخ من الأوصاف)) (شرح المفصل، ٢٠٠١، صفحة ٣٠٦/٣)

فُعَال

ويكون هذا الجمع في وصف على زنة (فاعل) صحيح اللام مثل: صائم صوام، شاهد شُهَاد، وشذ في الوصف على زنة (فاعلة) مثل: صاّدة وصُدَاد ومنه قول القطامي: (ديوان القطامي، ١٩٦٠، صفحة ٢٠٤)

أبصارُهُنَّ إلى الشُّبَّانِ مائِلَةٌ وقد أراهُنَّ عنى غَيْرَ صُدَادٍ

وما جاء في القصيدة الكثرية على هذه الصيغة:

يا لِلعُشَّاقِ لِمُفْتونٍ بهوى رشاءٍ أحوى أحوِر

جاء النداء في البيت: يا (للعشاق) وهي جمع عاشق على زنة (فاعل)، وهذا أسلوب نداء استغاثي أو تعجبي، يُوجّه إلى طائفة محددة هي (العشاق)، تعليقاً على حال المفتون بهوى المحبوبة. واختيار صيغة (عشاق) بصفتها جمع كثرة له دلالات واضحة: تكثير الفئة المخاطبة، الشاعر لا ينادي عاشقاً واحداً، ولا جماعة قليلة، بل طائفة واسعة من العشاق، وكان كل من عرف الحب سيتفهّم أو يشارك في معاناة هذا المفتون مبالغة في وصف الحال، المقام ليس مقام توصيف عابر، بل مقام عاطفة مشبوبة، تتناسب مع صيغة الكثرة ذات الوقع الثقيل في السمع والمخيال. قال تمام حسان: ((جمع التفسير لا يؤدي وظيفة العدد فقط، بل يؤدي وظيفة الدلالة الشعورية من حيث الكم والانفعال والهيمنة على الحدث)) (اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ١٧٥)

مفاعِل

ويجمع هذا الجمع ما كان على أربعة أحرف أوله ميم زائدة مثل: مسجد مساجد، ملعب ملاعب، مقبرة مقابر، وما جاء في القصيدة الكثرية على هذه الصيغة:

تَبَيُّضٌ لهجرك عيناهُ حُرْزاً ومدامغهُ تحمُرُ

واللفظة جمع مفردة (مدمع)، إن استخدام جمع الكثرة (مدامع) في هذا البيت الشعري يُعد اختياراً صرفياً مقصوداً، يُضاعف من التأثير الوجداني للنص، حيث تنقل البنية الدالة على الكثرة حالة الحزن إلى مستوى الحسن التصويري الكثيف، فتصبح العين ليست مدمعاً واحداً، بل حقولاً من المدامع التي تفرور وتحمّر من شدة الانفعال، وهو من دلالات التوظيف الجمالي للبنية الصرفية في الشعر العربي، استخدام صيغة (مفاعل) يعكس اتجاهاً شعرياً في توسيع الأثر النفسي باستخدام البنية الصرفية (دراسات في علم الصرف، صفحة ١٣٧)، فهي لا تخدم المعنى الوصفي فقط، بل تؤدي وظيفة انفعالية تُضفي على النص مزيداً من التوتر الشعوري والانغماس في الحزن، البيت يصور حالة وجدانية مفرطة التأثر، فيها: بياض العين من شدة الحزن احمرار المدامع من فرط البكاء والاحتقان. وفي هذا السياق، جاءت (مدامغهُ) لتعني: القنوات أو الجوانب التي تجري منها الدموع، فاختيار صيغة جمع الكثرة (مدامع) بدلاً من مفرد (مدمع) أو جمع قلة (أدمع) يحمل دلالات التكثير المجازي والتصويري، مع أن الإنسان لا يملك إلا مدمعين اثنين في كل عين، إلا أن الشاعر يُكثر المدامع تصويراً لا عدداً، لِيُظهر أن الدموع تنهمر من كل موضع، حتى لِيُخيّل أنها مدامع كثيرة متعدّدة، تصوير معاناة داخلية حادة، الاحمرار في (مدامعه تحمر) يدل على توتر وانفجار عاطفي، فاختيار صيغة جمع الكثرة يُعزز المشهد الدرامي الذي ينقله الشاعر، ويحوّل العين إلى ساحة تنفجر بالمشاعر.

الخاتمة

وردت صيغ الجمع في القصيدة الكثرية ٢٠ مرة، وإن الصيغ الصرفية الدالة على الجمع تحمل في تضاعيفها معانٍ دلالية تحيّرنا دون غيرها تبرز أثناء استعمالها في سياقات محدّدة.

إن الدلالة على القلة والكثرة لا تؤخذ من الصيغ الصرفية وحدها، بل يجب أن تراعى معها حيثيات أخرى لعل أهمها السياق وما يحويه من قرائن دالة على المعنى المراد من هذه الصيغة أو تلك، فتعدّد المعنى بالنسبة للمبنى الصرفي الواحد، دليل قوي على جدوى مراعاة السياق وما يحمله من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة للفظ.

المصادر:

- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب: أثير الدين محمد يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ٥٧٤هـ)، تج: مصطفى أحمد النماس، ط ١، مطبعة التمني، القاهرة، ١٩٨٤-١٩٨٩م.
- ❖ أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تج: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة
- ❖ الأصول: لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تج: د عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة للنشر.



- ❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ الخصائص: ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.
- ❖ دراسات في علم الصرف: د عبد الهادي الفضلي، دار الشروق، دار ومكتبة هلال، بيروت.
- ❖ ديوان القطامي: تح: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- ❖ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: تح: عبدالله ستره، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- ❖ شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى
- ❖ شرح المفصل: أبو البقاء يعقوب بن علي بن محمد بن يعقوب (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاسترأبادي (٦٨٦هـ) تح: محمد نور الحسن، محمد الزراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- ❖ الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (٥٨٠هـ) تح: عبد السلام هارون ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨-١٩٨٨م.
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تح: عبد الرزاق المهدي
- ❖ اللغة العربية معناها ومبناها: د تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة السادسة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ❖ معجم الجموع في اللغة العربية: أدما طربيا، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.
- ❖ مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) تح: عبد السلام هارون دار الفكر، ١٣٩٩-١٠٧٩م.
- ❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هندوي، المكتبة التوقفية، مصر (د-ت).

البحوث المنشورة:

- ❖ الصيغ الصرفية في الفواصل الحديثية - صحيح البخاري نموذجا-دراسة صرفية دلالية، ام د محمد قاسم سعيد، المجلد، ٢٨م العدد ١٧٧ ان ٢٠٢٢، مجلة كلية التربية الأساسية
- ❖ المباحث الصرفية في مدارك الأحكام، حسني ثابت مطر، أم د همسات محمد حسن، مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية، كلية التربية، المجلد ٣/ العدد ٢٠٢٥
- ❖ دراسة صرفية لجموع التفسير في القرآن الكريم، العدد ١٣/٢٠١٣، م م يسرى ناصر غازي، مجلة آداب المستنصرية.

Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper

DOI: <https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670>

140



This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license. هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY).



Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to institution, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance provided by the institution have helped tremendously in completing this research.

References

